أثر المشافهة
في صناعة المعجم العربي

بقلم الدكتورة

سالمة صالح محمد العمامي

أستاذ النحو والصرف والعروض المشارك في قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة طبرق ـ ليبيا

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م

الجزء الأول (إصدار يونيو)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

أثر المشافهة في صناعة المعجم العربي

سالمة صالح محمد العمامي

قسم النحو والصرف والعروض ـ قسم اللغة العربية ـ بكلية الآداب ـ جامعة طبرق ـ ليبيا

البريد الإلكتروني : salma.amamy@tu.edu.ly

الملخص

تعدّ المعاجم من المصنفات التي أبانت مدى اتساع وعمق الفكر اللغوي العربي حيث ارتبطت نشأة التأليف المعجمي كغيرها من علوم العربية بالسماع تبين ذلك مقدمات العلماء في مصنفاتهم المعجمية(١) التي ظلت رافدا ومعينا للكلام العربي؛ والمعاجم العربية زاخرة بمرجعيات لسانية وثقافية تجعل منها وعاء لكل العلوم لذا فهي معبرة باقتدار عن أوانها؛ والسماع أو الاستعمال كما ينبغي أن يُسمَّى(٢) دليل نقلي استعمله المسلمون في علومهم اللغوية وغير اللغوية كأصول الفقه والكلام، فبنوا به قواعدهم الجامعة ووضعوا عليه أسس نقل اللغة التي كانت مشافهة كما يقرّ بذلك العلماء وكما خُطّ في مصنفاتهم.

والمعاجم هي إحدى هذه العلوم الغزيرة التي كانت المشافهة طريقا لتبلورها ووجودها؛ ولهذا فإن أهمية المشافهة تكمن في كونها أداة طبيعية سهلة لنقل العلم وإن عمد العلماء إلى تقييدها حفاظا على نقاء اللسان العربي من اللحن وخوفا عليه من غلبة الدخيل يقول ابن منظور:" فإنني لم أقصد سوى حفظ أصُول هَذِه اللُّغَة النَّبَوِيَّة ...، وَذَلِكَ لِما رأيتُه قد غلب، فِي هَذَا الأوان، من اخْتِلَاف الْأَلْسِنَة والألوان، حَتَّى لقد أصبح اللّحن فِي الْكَلَام يعد لحنًا مردودًا، وَصَارَ النطقُ بِالْعَرَبِيَّةِ من المعايب معدودًا، وتنافس الناسُ فِي تصانيف الترجمانات فِي اللُّغَة الأعجمية، وتفاصحوا فِي غير اللُّغَة الْعَرَبِيَّة، فَجمعت هَذَا

(١) ينظر: لسان العرب، ٣٣/١

(٢) ينظر: النظرية اللغوية في التراث العربي:٣٠

الْكتاب فِي زمنٍ أهلُهُ بِغَيْر لغته يفخرون، وصنعته كَمَا صنع نوحٌ الفلكَ وقومُه مِنْهُ يسخرون، وسميته [لسانَ الْعَرَب]"(١)

وهذه الورقة تهدف إلى تبين مدى علاقة المشافهة بالمعجم العربي؟ و معرفة هل استمرت المشافهة ملازمة لصناعة المعاجم أم توقفت في زمن ما؟؛ لهذا عنونت بأثر المشافهة في صناعة المعجم العربي وتتمحور الورقة حول:

أولا: المشافهة في اللسان العربي نظرة في الزمان والمكان.

ثانيا: المعاجم أدوات صناعتها وتطورها.

ثالثا: المعاجم بين المشافهة والرواية.

وبعد أن تستوفى أركان هذه الورقة سنوجز أهم النتائج في خاتمة تحوي أهم التوصيات، ثم ثبت بمصادر ومراجع الورقة.

وكان أهم ما خلصت إليه الدراسة اختلاف معاجم الألفاظ عن معاجم المعاني في كمّ المشافهة المباشرة" السماع" حيث ظهر السماع " النقل المباشر" في معاجم مثل العين والتهذيب، كما اعتمدت المعاجم المتأخرة على الرواية والاستدلال أكثر من السماع المباشر الذي كان ظاهرا في المؤلفات الأولى لعلوم العربية كالكتاب ومعجم العين، وأوصت باستقراء كلّي لمعاجم المعاني وبيان ما بها من تطور تاريخي.

الكلمات المفتاحية : المشافهة ، صناعة المعجم ، المعجم العربي ، المشافهة والرواية .

(١) تنظر: مقدمة اللسان، ٨/١.

The Impact of Verbal Language Exchange (al-mushafahah) in Arabic Lexicography

Salma Saleh Mohammed Al-Amami

Department of of Language, Faculty of Arts , Tobruk University.- King Saud University.

Email: salma.amamy@tu.edu.ly

Abstract

Dictionaries are among the works that show the extent of the development and depth of Arabic linguistic thought, as the emergence of lexical composition, like other Arabic sciences, was linked to listening. This was demonstrated by the introductions of scholars in their lexicographic works1, which have been an important resource for Arabic speech; Arabic dictionaries are replete with linguistic and cultural references that make them a container for all sciences, so they are ably expressive of their times. Hearing or using as it should be called2 is a transmission guide that the Muslims used in their linguistic and non-linguistic sciences, such as the principles of jurisprudence and speech. On the basis of this guide, they constructed their general rules and developed the foundations of transmitting the language that was oral, as the scholars acknowledge that and as it was written in their works. Dictionaries are one of these rich sciences, for which verbal language exchange was a way to standardize them and make them come into existence. For this reason, the importance of oral speech exchange lies in the fact that it is a natural and easy tool for transferring knowledge, even if the scholars deliberately restrict it in order to preserve the purity of the Arabic tongue from errors and for fear of the predominance of foreign words. Ibn Mandhur says, "my intention was only to keep the assets of this prophetic language..., so when I found, at this time, different dialects and tongues, to the extent that making errors became very common and the use of Arabic became a demerit, and when I found people competed in the classifications of translations in foreign languages, and they articulated in a language other than Arabic, I wrote this dictionary in a time when its people were proud of languages other than theirs, I made it as Noah made the ark while his people were

mocking at him, and I called it [Lisan al-Arab]"3.This research paper attempts to show the relationship between the oral language exchange and Arabic lexicography and whether the oral exchange continued to be associated with Arabic dictionary making, or stopped at some point. This is why I entitled this paper "the impact of oral language exchange on the Arabic lexicography". The paper focuses on 1) the oral language exchange in the Arabic: a look at time and place, 2) dictionaries: tools of their making and development, and 3) dictionaries between oral exchange and narration. After completing the sections of this paper, we will summarize the most important results in a conclusion containing the most important recommendations, followed by a list of references cited in the paper. The most important finding of the study was the difference between lexical dictionaries and semantic dictionaries in the amount of direct oral exchange (listening), which appeared in dictionaries such as Al-Ain and Al-Tahdheeb. The more recent dictionaries relied on narration and inference more than direct listening, which was apparent in the early Arabic works such as Al-Kitab and Al-Ain dictionary. The current study recommended a holistic extrapolation of the semantic dictionaries and an explanation of their historical development.

---

1. **see Lisan Al-Arab, 1/ 33**
2. **see al-nadhariyyah al-lughawiyah fi al-turath al-arabi: 30**
3. **see the introduction of al-lisan: 1/8**

Keywords: Oration, lexicon industry, Arabic lexicon, oration and narration .

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة:

حظيت المعاجم بدراسات كثيرة ومتنوعة تتبعت نشأتها وتطورها، وأحصت أنواعها وحددت طرائق المعجميين في صناعتها، وتكمن أهمية المشافهة في أنها تنقل وتصور طرائق العلماء في الأخذ المباشر وكيف تصرفوا حيال هذا النقل وهذه مزية وجدت عند المعجميين التي سندرسها في هذه الوريقات.

كما ربطت المشافهة بين الملفوظ المستعمل عند العرب وغير المستعمل الذي سافه المعجميون بمصطلح المهمل، وقدمت المعاجم العربية جذورا ثلاثية وأخرى ثنائية حاول كثير من المعجمين ردها للجذر الثلاثي الذي قامت عليه المعاجم العربية.

أولا: المشافهة في اللسان العربي نظرة في الزمان والمكان:

لازمت المشافهة علوم اللغة العربية كلها، وكانت المشافهة مبتدأ هذه العلوم والمعوّل عليها في رصد ظواهرها، والمشافهة هي الأخذ المباشر أو النقل المباشر عن العرب الأقحاح الذين كانوا ركيزة العلماء في رصد الظاهرة اللغوية يقول الشلقاني:" وكان الرواة بصفة عامة مصدرا هاما، ذهب إليهم رواة اللغة حيثما وجدوا وأوثقهم أعراب البادية الذين بعدوا عن الحاضرة ولم تتأثر ألسنتهم بها"(١)، وما ذكره الشلقاني تؤكده المنقولات في نصوص العلماء؛ والمشافهة كما يحددها ابن منظور هي:" وشافَهَه: أَدْنَى شَفَتَه مِنْ شَفَته فكَلَّمَه، وكلَّمه مُشافَهةً، جاؤوا بِالْمَصْدَرِ عَلَى غَيْرِ فِعْلِه

(١) الأعراب الرواة: ٨.

وَلَيْسَ فِي كُلِّ شَيْءٍ قِيلَ مثلُ هَذَا، لَوْ قُلْتَ كَلَّمْتُه مُفاوَهةً لَمْ يَجُزْ إِنَّمَا تَحْكي مِنْ ذَلِكَ مَا سُمِع؛ هَذَا قَوْلُ سِيبَوَيْهِ. الْجَوْهَرِيُّ: المُشافَهةُ المُخاطَبةُ مِنْ فِيكَ إِلَى فِيهِ"[١]، وهذا المعنى لا ينطبق تماما عن كل ما أخذ عن العرب فليس كل نقل هو نقل مباشر وإنما تطورت المشافهة فيما بعد لترتقي إلى مقام الرواية حتى برزت ظاهرة السند في مصادرنا اللغوية وتبلورت سمات الرواية عند العلماء ووضعت لها شروطها الخاصة بها، والسند علم انتقل إلى اللغة من علوم الدين، لهذا فرّق ابن الجزري بين الرواية والنقل المباشر بقوله:" وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ مُقَيَّدٌ بِالسَّمَاعِ وَالنَّقْلِ وَلَا يَجُوزُ إِلَّا فِيمَا صَحَّتِ الرِّوَايَةُ بِهِ لِمَعْنًى مَقْصُودٍ بذاته" [٢] ، على أن المعيار الذي يضعه ابن الجزري للفصل بين الرواية والأخذ المباشر غير محدد تحديدا دقيقا لدى اللغويين وذلك لمساواتهم في الأحكام اللغوية بين ما أخذ أخذا مباشرا وبين ما نقل بالرواية[٣]؛ وقد ربط السيوطي بين الرواية في علوم القرآن ورواية اللغة ربطا مباشرا بقوله:" والعجب من الأصوليين أنهم أقاموا الدلائل على خبر الواحد أنه حجة في الشرع ولم يقيموا الدلالة على ذلك في اللغة، وكان هذا أولى وكان من الواجب عليهم أن يبحثوا عن أحوال اللغات والنحو وأن يتفحصوا عن أحوال جرحهم وتعديلهم كما فعلوا ذلك في رواية الأخبار لكنهم تركوا ذلك بالكلية مع شدة الحاجة إليه فإن اللغة والنحو يجريان مجرى الأصل للاستدلال بالنصوص"[٤].

---

(١) لسان العرب: ٥٠٧/١٣.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي: ٣٠٠/١.

(٣) هذا الموضوع محل دراسة في التقعيد عند النحاة عسى أن نقوم بها مستقبلا.

(٤) الاقتراح في أصول النحو وجدله١٤٦

وقد استمر النقل بالمشافهة مؤثرا في وضع قواعد العربية وتبلور علومها بعامة حتى التزم العلماء بيئة محددة وزمانا أيضا خوفا أن تبتعد اللغة بالاختلاط عن خصائصها الأصيلة، وأهم هذه الخصائص خصيصة الإعراب التي هي أصل وضعت عليه العربيّة؛ وكانت هذه الخصيصة المعبر عن ظاهرة اللحن التي أدت إلى تحديد النقل بالسماع مكانا وزمانا.

برزت المشافهة مع علوم القرآن الكريم فقد بدأ علم التفسير بتفسير غريب القرآن ومعانيه وكانت هذه التفاسير عبارة عن مرويات اعتمدت على الأخذ المباشر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته؛ ثم تطور التدوين في التفسير لنجد كتاب الجامع للطبري بشكله الموسوعي على أن ظاهرة السند والرواية استمرت ملازمة لكتب التفسير وكتب اللغة أيضا فكتاب مثل معاني الفراء يفسر فيه القرآن بكلام العرب في كثير من مواضعه ومن ذلك أن يقول:" ربما قال القائل: كيف تربح التجارة وإنما يربح الرجل التاجر؟ وذلك من كلام العرب: ربح بَيْعُك وخسر بيعُك، فحسن القول بذلك ؛ لأن الربح والخسران إنما يكونان في التجارة، فعلم معناه، ومثله من كلام العرب: هذا ليل نائم، ومثله من كتاب الله: «فَإِذا عَزَمَ الْأَمْرُ» وإنما العزيمة للرجال" [(١)]، وعلى هذا النهج مضى أكثر اللغويين في كتب المعاني والغريب وإعراب القرآن الكريم، وقد تنبه بعض المعجميين للفكر المعجمي المبثوث في كتب الغريب وغيرها يقول ابن فارس:" وَمِنْهَا كِتَابَا أَبِي عُبَيْدٍ فِي (غَرِيبِ الْحَدِيثِ)، وَ (مُصَنَّفِ الْغَرِيبِ) حَدَّثَنَا بِهِمَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ، مِنْهَا (كِتَابُ الْمَنْطِقِ)"[(٢)]

(١) معاني القرآن للفراء: ١٤/١

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٤،٥/١.

وإن كان سيبويه اعتمد في منهجه النقلي على الوصف إنه كان يكتفي بالقول سمعت أو سمعنا عن العرب أو سمعنا من نثق بعربيته وهي عبارات تدلل على أهمية الرواية المباشرة وغير المباشرة وعلى أن النقل في العلوم العربية كان مقيدا بقيود منها ما ذكر البغدادي وهو ما يخص الأخذ عن الشعراء وقد صنف الشعراء طبقات فأعلاها مرتبة الجاهليون وأدناها مرتبة المولدون [١].

أمّا ظاهرة السند فواضحة جلية في كتب الأمالي والمجالس مما يؤكد علو شأن الرواية عند العرب وأثرها في علومهم؛ يقول الزجاجي:" حدثني أبو الحسن علي بن سليمان قال: حدثني أبو العباس أحمد بن يحيى قال: حدثني الرياشي، قال: حدثني الأصمعي قال: قال أبو عمرو بن العلاء لأبي خيرة: كيف تقول: حفرت إراتك؟ [فقال: حفرت إراتك] قال: فكيف تقول: استأصل الله عرقاتِهم أو عرقاتَهم؟ فقال: استأصل الله عرقاتَهم، فلم يعرفها أبو عمرو وقال: لان جلدك يا أبا خيرة"[٢]، وعلى هذا المنوال يمضي الزجاجي في كتابه وهذا النمط من المشافهة يمثل الرواية التي لابد فيها من السند وهي ظاهرة متقدمة عن ظاهرة السماع أو النقل المباشر، لذلك فمن غير الصحيح أن نطلق على الرواية سماعا ؛ لأن السماع لغة واصطلاحا يذهب بنا إلى الأخذ المباشر الذي كان في بداية جمع اللغة حيث قالوا بأن العلماء كانوا يرتحلون للبادية ليأخذوا عن العرب الأقحاح الذين لم تختلط لغتهم النقية ولم يصبها اللحن بشوائبه.

(١) ينظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: ٢٩/١.

(٢) مجالس العلماء، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي: ٦.

وقد وضع اللغويون قانونا عاما للحفاظ على اللغة من الاختلاط والامتزاج الذي يؤدي بها إلى ضياع خصائصها الأصيلة وأهم تلك الخصائص خصيصة الإعراب كما أسلفنا، وقد ذكر الفارابي في كتابه الحروف هذا القانون الزماني والمكاني كما أورده السيوطي في الاقتراح[١]، وهذا الحد الزماني والمكاني التزمه علماء العربية في اللغة والأدب ، وإن كان هذا الالتزام أثّر على رصد الظاهرة اللغوية وأدى إلى انحسار السماع المباشر والتوسع في الرواية كما أفصحت عن ذلك كتب العلماء ومنها كتب المجالس والأمالي والمسائل؛ أمّا الشروحات فقد اهتمت بتقعيد اللغة أكثر من وصف الظاهرة اللغوية كما في كتاب سيبويه وخصائص ابن جني.

والنموذج السابق للرواية هو الشكل المتبع في تتبع دلالات الكلمات وأصولها في المعاجم العربية؛ فالمعاجم العربية ابتدأت بشذرات في كتب اللغة وكتب غريب القرآن التي نراها الأساس الأول لنشأة المعاجم وتبلور فكرتها العامة فلا يخلو كتاب في غريب القرآن ومعانيه ومجازه من ذكر لمعاني بعض الكلمات ومن ذلك كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة فقد أكد محقق الكتاب في مقدمته على أخذ كثير من العلماء منه واستفادتهم منه" وكذلك اعتمد عليه الطبري (- ٣١٠) في تفسيره وأكثر من مناقشته ومقارنة رأيه بآراء أهل التأويل والعلم، وقد ذكرت في حواشي «المجاز» اعتراضاته على أبى عبيدة، واستفاد منه أبو عبد الله اليزيدي (- ٣١١) ، والزجاج (- ٣١١) في معانيه، وابن دريد (- ٣٢١) في «الجمهرة» وأبو بكر السجستاني (- ٣٣٠) في «غريبه» وابن النحاس (- ٣٣٣) في معانى القرآن، والأزهري (- ٣٧٠) في التهذيب وأبو على الفارسي في الحجة

(١) ينظر: كتاب الحروف: ٩١.

(- ٣٧٧) ، والجوهري (- ٣٩١) في الصحاح وأبو عبيد الهروي (- ٤٠٢) في الغريبين، وابن برى (- ٥٨٢) في حواشي الصحاح وغيرهم من المتقدمين"[١] غريب القرآن للسجستاني فقد رتب السجستاني الكتاب على حروف المعجم كما جاء في مقدمته[٢]، وإذا كان السجستاني قد توفي في ثلاثمائة وثلاثين للهجرة لم يكن معروفا حينها إلا معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، ولكن كتب المعاني والغريب أقرب إلى تفسير المعاني منها إلى توضيح الأصل اللغوي بالوضع كما عند المعجمين " وقد كان علماء اللغة أيام الخليل ومن قبله مهتمين كذلك بجمع مفردات اللغة، ولكن هذا الجمع اقتصر فقط على المفردات الصعبة المعاني لشرحها وتوضيحها، وهي التي عرفت باسم "الغريب". وقد كان النظام الذي ساروا، عليه في شرح الغريب مبنيًّا على أساس الرسائل والمكتبات التي تعالج موضوعًا معينًا، فمثلًا ظهر كتاب الخليل، وكتاب المطر وكتاب النوادر وغيرها"[٣].

فإذا كان المعجم يتبع طريقين في سبيل تفسير الألفاظ فإن أحد هذين السبيلين مشابه تماما لمنهج المؤلفين في غريب القرآن، وفي كتب اللغة كما في كتاب سيبويه وخصائص ابن جني على النحو الذي سيتبين لاحقا.

---

(١) مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري: ١٧.

(٢) غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، محمد بن عُزير السجستاني:٤٣.

(٣) المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم "العين" للخليل بن أحمد: ١.

ثانيا: المعاجم أدوات صناعتها وتطورها:

قدمت المعاجم العربية كمّا لا يحصى من الأصول اللغوية أو الجذور كما يقدمها الدرس اللساني الحديث، حيث تعدد الشكل المعجمي الذي سار على نمطين في توضيح أصول الكلمات وتبيين دلالتها العامة ومجازاتها.

النمط الأول: توضيح الأصل اللغوي للكلمة.

تقدم المعاجم هذا النمط الذي يقوم على البحث عن أصل الكلمة وعدد حروفها فإما أن تكون الكلمة ثلاثية الأصل وهو الغالب أو تكون ثنائية الأصل على خلاف في ذلك، ويمهد الأصل اللغوي للكلمة للخوض في دلالتها الوضعية وهذا النمط هو الغالب على المعاجم عدا كتاب الزمخشري أساس البلاغة الذي يفصح عنوانه عن مضمونه فإن الزمخشري قد تتبع كلام العرب فنظر في معانيها وركز على بلاغتها ومجازاتها وكانت تلك بغيته من الكتاب " ومن خصائص هذا الكتاب تخير ما وقع في عبارات المبدعين وانطوى تحت استعمالات المفلقين، أو ما جاز وقوعه فيها، وانطواؤه تحتها، من التراكيب التي تملح وتحسن، ولا تنقيض عنها الألسن، لجريها رسلات على الأسلات، ومرورها عذبات على العذبات"(١) .

وقد بيّن الزمخشري، أيضا، طريقته في جمع مادة الكتاب في مقدمته حين قال:" فليت له العربية وما فَصُح من لغاتها، وملح من بلاغاتها، وما سمع من الأعراب في بواديها، ومن خطباء الحلل في نواديها، ومن قراضبة تجد في أكلائها ومراتعها، ومن سماسرة تهامة في أسواقها ومجمعها، وما تراجزت به السقاة على أفواه قلبها، وتساجعت به الرعاة على شفاه علبها،

(١) أساس البلاغة ١٥/١. والقراضبة هم: اللصوص، ينظر: اللسان:٦٧٠/١.

وما تقارضته شعراء قيس وتميم في ساعات المماتنة، وما تزاملت به سفراء ثقيف وهذيل في أيام المفاتنة؛ وما طولع في بطون الكتب ومتون الدفاتر من روائع ألفاظ مفتنة، وجوامع كلم في أحشائها مجتنة"(١).

والنص يوضح مصادر نقل اللغة والأصل الأول لجمعها وهو السماع ،وفيه تصريح للنقل عن الفصحاء من الأعراب من بلغاء، والشعراء والرجاز منهم بخاصة، كما نقل عن هذيل وتميم إضافة للكتب والمتون.

ولأن السماع أصل والقياس فرع عنه فإن العمل المعجمي الذي هو عبارة عن تدوين للغة وجمعها في كتب مع بيان أصولها وتفسير لدلالات ألفاظها؛ جعل صناعة المعاجم مختلفة عن غيرها مما يتعلق بعلوم اللغة لارتباطها بالسماع وقيامها على المشافهة؛ فالمعجم هو المصدر الأساس للنظر في اللغة المستعملة؛ وهو المعوّل عليه في تبيان تطورها، ولكن هل أثر تطبيق الحد المكاني والزماني على المشافهة وعلى المعاجم؟ يلزمنا لكي نجيب عن هذا التساؤل أن نتتبع تطور التأليف المعجمي عند العرب، وهذا التطور التاريخي لابد له من أسس لكي يستقيم البحث فيه؛ لعل منها:

- النظر في مصادر اللغة التي أخذت بها المعاجم ومقارنتها ببعض.
- التمعن في أساليب المعجمين وغاياتهم.
- دراسة سير وأحوال المؤلفين في المعاجم والمجتمعات التي أخذوا عنها.

وتظل المشافهة رديفة الاستعمال الحقيقي للغة لهذا فإن علماء مثل سيبويه وابن جني تفطنوا لهذه الإشارات فلم تخل مؤلفاتهم من مطارحات على النحو الذي ينتهجه المعجميون من العلماء وذلك في مواضع التصريف

---

(١) أساس البلاغة ١/١٥ .

قال سيبويه: " وقال بعض العرب: مجن يمجن مجناً، كما قالوا: الشغل. وقالوا: فسق فسقاً كما قالوا فعل فعلاً، وقالوا: حلف حلفاً كما قالوا: سرق سرقاً... وأما السكات فهو داءٌ كما قالوا: العطاس، فهذه الأشياء لا تكون حتى تريد الداء، جعل كالنحاز والسهام، وهما داءان، وأشباههما، وقالوا: عمرت الدار عمارة، فأنثوا كما قالوا: النكاية، وكما قالوا: قصرت الثوب قصارة حسنة" (١).

وهذا السياق الذي تبعه سيبويه لايختلف عن سياق المعجميين في معاجهم ممّا يشير إلى نضج التاليف المعجمي عند العرب إلى زمن يسبق سيبويه وربما أخذه عن شيوخه من رواة الكتاب، لأن المنقول في الكتاب هو رواية سماعية نقلية مباشرة وغير مباشرة.

وكصنيع سيبويه فسر ابن جني مادة صوت فقال:" فأما القول على لفظهما فإن الصوت مصدر صات الشيء يصوت صوتا فهو صائت وصوت تصويتا فهو مصوت وهو عام غير مختص يقال سمعت صوت الرجل وصوت الحمار... ومن مسائل الكتاب له صوت صوت حمار ويقال رجل صات أي شديد الصوت وحمار صات كما يقال رجل مال كثير المال ورجل نال كثير النوال وكبش صاف كثير الصوف وبئر ماهة كثيرة الماء ورجل هاع لاع وامرأة هاعة لاعة ورجل خاف ويوم طان وراح كثير الطين والريح وتقدير هذه الأوصاف كلها عندنا فعل مكسورة العين"(٢)، وكتاب سر صناعة الإعراب لابن جني أيضا يبرز منهجا معجميا بالإضافة للتقعيد، فقد قسمت أبواب الكتاب وصنفت تصنيفا معجميا فيبتدئ بحرف الهمزة فالباء فالتاء

(١) الكتاب: ٤/ ١٠.
(٢) سر صناعة الإعراب: ١/ ٩_١١.

فالثاء فالجيم إلى آخر الحروف على نحو منهج بعض المعجميين[١] في معاجهم.

وقد استشهد كثير من المعجمين بأقوال علماء اللغة في بيان معاني الكلمات وأصولها" الأَبَاءُ: القَصَبُ، وماؤُه شَرّ المياه، ويقال: الأَبَاءُ هنا: الماءُ الذي يَبولُ فيه الأَرْوَى فيشرَبُ منه العَنْزُ فيَمْرَضُ ... (هذا مَوْضِعُ ذِكْرِه) أَي في الهمزة، (كما حكاه) الإِمامُ أَبو الفَتْحِ (ابنُ جِنِّى) وارتضاه في كتابه سِرِّ الصِّناعة ، نقلاً (عن) إِمام اللغةِ (سيبَوَيْهِ) ،وقال ابنُ بَرِّيَ: وربّما ذُكِرَ هذا الحَرْفُ في المُعتَلِّ ، وليس بمذْهَب سِيبويهِ ، (لا) في باب (المُعْتَلّ) يائِيًّا أَو واويًّ"[٢].

وفكرة البحث في أصول الكلمات وربطها بالمعاني أي بين الدلالة الوضعية والملفوظ؛ منهج أخذه المعجميون عن اللغويين يقول سيبويه: "فالأفعال تكون من هذا على ثلاثة أبنية: على فعل يفعل، وفعل يفعل، وفعل يفعل، ويكون المصدر فعلاً، والاسم فاعلا، فأما فعل يفعل ومصدره فقتل يقتل قتلاً، والاسم قاتل؛ وخلقه يخلقه خلقاً، والاسم خالق؛ ودقه يدقه دقاً، والاسم داقٌّ، وأما فعل يفعل فنحو: ضرب يضرب ضرباً وهو ضاربٌ؛ وحبس يحبس حبساً، وهو حابس، وأما فعل يفعل ومصدره والاسم فنحو: لحسه يلحسه لحساً وهو لاحسٌ، ولقمه يلقمه لقماً وهو لاقمٌ، وشربه يشربه شرباً وهو شاربٌ، وملجه يملجه ملجاً وهو مالج"[٣]، وهذا النحو كثير في كتاب سيبويه.

---

١) ينظر: معجم الصحاح، والتهذيب.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس: ١٥٤/١.

(٣) الكتاب: ٥/٤.

الدلالة المعجمية بين الوضع والمجاز:

يقدم المعجمي الأصل اللغوي للمعنى أولا فهو يبحث في اشتقاقها الذي اشتقت منه سعيا لتوضيح الأصل الذي وضعت عليه، ثم يعرج على دلالاتها مستدلا في ذلك بكلام العرب؛ لهذا فإن المشافهة في المعاجم قد تأخذ نمطا استدلاليا حجاجيا.

ففي اللسان يسوق ابن منظور شذراته المعجمية وفق نظام تعارف عليه المعجميون واللغويون فيركز على أصل الكلمة ثم يمضي لتبيان تصاريف الكلمة ثم يوضح ما ارتبط بها من معاني" أخذ: الأَخْذ: خِلَافُ الْعَطَاءِ، وَهُوَ أَيضاً التَّنَاوُلُ، أَخذت الشَّيْءَ آخُذُه أَخذاً: تَنَاوَلْتُهُ؛ وأَخَذَه يأْخُذه أَخْذاً، والإِخذُ، بِالْكَسْرِ: الاسْمُ، وإِذا أَمرت قُلْتَ: خذْ، وأَصله أُؤْخُذ إِلا أَنهم اسْتَثْقَلُوا الْهَمْزَتَيْنِ فَحَذَفُوهُمَا تَخْفِيفًا؛ قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: فَلَمَّا اجْتَمَعَتْ هَمْزَتَانِ وَكَثُرَ اسْتِعْمَالُ الْكَلِمَةِ حُذِفَتِ الْهَمْزَةُ الأَصلية فَزَالَ السَّاكِنُ فَاسْتُغْنِيَ عَنِ الْهَمْزَةِ الزَّائِدَةِ، وَقَدْ جَاءَ عَلَى الأَصل فَقِيلَ: أُوخذ؛ وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الأَمر مِنْ أَكل وأَمر وأَشباه ذَلِكَ؛ وَيُقَالُ: خُذِ الخِطامَ وخُذْ بالخِطام بِمَعْنًى، والتأْخاذُ: تَفْعال مِنَ الأَخذ"[1]، وهذا النمط هو المتبع والغالب على المعاجم العربية.

وهذا النص يوضح كيف يستطرد فيه المعجمي لتبيّن تطور الاستعمال مع تغير تصريف الجذر الأصل فعل ففي الجذر فعل دلالتين متناقضتين هما: الأخذ بمعنى السلب الذي هو ضد العطاء، والأخذ بمعى التناول، وأيضا دلالة الأخذ مكسورة الهمزة بعيدة عن الأصل الوضعي للجذر أخذ حيث تعني الاسم مما يبين ماحصل فيها من تطور دلالي.

---

(١) لسان العرب: ٤٧٢/٣.

ويفسر كيف أثّر الاستعمال في الأصل فأدى إلى تخفيف الهمزة بعد اجتماعهما بحذف إحداهما فاستغني عن أحدهما بالحذف بعد الإعلال.

النمط الثاني: توضيح دلالة الكلمة:

قفزت بعض المعاجم[١] إلى توضيح الدلالة أولا، ولم ترتكز على التصريف، وهي مرحلة متطورة في تصنيف المعاجم الحديثة أيضا؛ إلا أن السابقين من المعجميين أدركوا أن الغاية من جمع الجذور اللغوية للغة هي البحث عن الدلالات الوضعية لها، ثم اتسع النظر اللغوي الدلالي ليشمل دلالات جمل وأساليب بعينها على النحو الذي يظهره كتاب مثل الزاهر في معاني كلمات الناس ففي الكتاب تتبع لتطور الألفاظ التي جاء بها الإسلام وكيف استعملها الناس؟ وكيف تطورت دلالتها؟ من ذلك أن يقول:" وقولهم: رجل ظَرِيفٌ قال أبو بكر: قال الأصمعي وابن الأعرابي: الظريف: البليغ الجيد الكلام، وقالا: الظرف في اللسان، واحتجا بقول عمر بن الخطاب (رض): (إذا كانَ اللِّصُ ظريفاً لم يُقْطَعْ) فمعناه: إذا كان بليغاً، جيد الكلام، احتجّ عن نفسه بما يُسقط به عنه الحدَّ، وقال غيرهما: الظريف: الحسن الوجه والهيئة وقال الكسائي: الظرف يكون في الوجه ويكون في اللسان"[٢].

وهذا الكتاب سابق للمعاجم موسوعية مثل المخصص والتاج واللسان كما تنبئ بذلك وفاة مصنفه، ويمكن القول بأن هذا الكتاب سبق بمعجمين هما معجم العين، ومعجم جمهرة اللغة حيث يبين ابن دريد غايته من تأليف الجمهرة قائلا:" وَقد ألف أَبُو عبد الرَّحْمَن الْخَلِيل بن أَحْمد الفرهودي،

---

١) ينظر: معاجم المعاني.

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس: ١/١١٢.

رضوَان الله عَلَيْهِ، كتاب الْعين، فأتعب من تصدى لغايته، وعنى من سما إِلَى نهايته، فالمنصف لَهُ بالغلب معترف، والمعاند متكلف، وكل من بعده لَهُ تبع أقرّ بذلك أم جحد، ولَكنه ،رَحمَه الله، ألّف كِتَابه مشاكلا لثقوب فهمه وذكاء فطنته وحدة أذهان أهل دهره، وأملينا هَذَا الْكتاب وَالنَّقْص فِي النَّاس فَاش وَالْعجز لَهُم شَامِل، إِلَّا خَصَائِص كدراري النُّجُوم فِي أَطْرَاف الْأُفق، فسهلنا وعره ووطأنا شأزه، وأجريناه على تأليف الْحُرُوف الْمُعْجَمَة إِذْ كَانَت بالقلوب أعبق وَفِي الأسماع أنفذ وَكَانَ علم الْعَامَّة بهَا كعلم الْخَاصَّة، وطالبها من هَذِه الْجِهَة بَعيدا من الْحيرَة مشفيا على المُرَاد"(١).

ومعجم جمهرة اللغة أصّل فيه ابن دريد لفكرة الجذور اللغوية مستهلا بالأصل الثنائي على ما ذكر" فَمن نظر فِي كتَابنَا هَذَا فآثر التمَاس حرف ثنائي فليبدأ بِالْهَمْزَةِ وَالْبَاء إِن كَانَ الثَّانِي بَاء ثَقيلَة، أَو الْهمزَة وَالتَّاء إِن كَانَ الثَّانِي تَاء، وكَذَلِكَ إِلَى آخر الْحُرُوف، وَأما الثلاثي فَإِنَّا بَدَأْ بالسالم، فَمن أحب أَن يعرف حرفا من أبنيته مِمَّا جَاءَ على فَعْلٍ وفُعْلٍ وفِعْلٍ وفُعَلٍ وفِعَلٍ وفُعُلٍ وفَعُلٍ وفَعِلٍ وفَعَلٍ فليبغ ذَلِك فِي جُمْهُور أَبْوَاب الثلاثي السَّالِم"(٢)، وهذه السبيل انتهجها المعجميون من بعده هذا إذا ما استثنينا معاجم الدلالات ومنها كتاب الأنباري الزاهر الذي يدلل دلالة صريحة على تتبع تطور المعاني والأساليب وإن كان صناعة هذا الكتاب مشابهة لمؤلف الزمخشري أساس البلاغة؛ وعلى أية حال فإن الفكر الموسوعي العربي فكر متطور وذلك بالنظر للسانيات الحديثة التي تؤكد على مراعاة المستويات البنيوية للغات.

---

(١) جمهرة اللغة: ١/٤٠.

(٢) المرجع السابق: ١/٤٠.

والمعاجم المتتبعة للأصل بالوضع تتبع نظاما محددا في تقصي كلام العرب؛ وهو كالآتي:

١. تبيين الأصل الوضعي للكلمة فبعضها يبدأ بالأصل الثنائي وبعضها بالثلاثي وأخرى تمزج بينها.
٢. تفسير دلالة الجذر" دلالة المطابقة" ثم إظهار الدلالات التي تنضوي تحت هذا الجذر" دلالة التضمن" سواء أكانت تلك الدلالات نابعة من زيادة حروف على الأصل أو متعلقة بدلالة أسلوبية على الشكل الذي سيذكر لاحقا.
٣. إبراز نطاق العام لدلالة الجذور اللغوية "دلالة الاستلزام".
٤. استعمال المجال الاستدلالي الحجاجي في إثبات المعاني.

يذكر الجوهري في دلالة كلمة (أثر): " [أثر] الأَثْرُ: فِرِنْدُ السيفِ، قال يعقوب: لا يعرفه الأصمعيُّ إلاّ بالفتح، قال وأنشدني عيسى بن عمر الثَقفيّ:

جَلاها الصَيْقَلونَ فأَخْلَصوها خِفافاً كُلُّهَا يَتَقي بأَثْرِ –أي كلُّها يستقبلك بفِرِنْده، والمأثورُ: السَيفُ الذي يقال إنَّه من عمل الجنِّ، قال الأصمعي: وليس من الأثْرِ الذي هو الفرِنْد، والأَثْرُ أيضاً: مصدر قولك: أَثَرْتُ الحديثَ"(١).

يظهر النص أن الجذر (أَثْر) تذهب دلالته لمعنيين هما السيف وإلى الحديث ومنه الحديث المأثور وعلى تباعد ما بين الدلاتين إلا أنهما يشتركان في الأصل اللغوي ذاته وقد استعمل الاستدلال في إظهار المعنى، ويختلف المنحنى الدلالي إذا تحركت الثاء(أَثَر) " والأَثَرُ بالتحريك: ما بقي من رسْم الشيء وضربة السيف، وسنن النبي صلى الله عليه وسلم: آثاره، واستأثر

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٢/٥٧٤.

فلان بالشيء، أي استبد به، والاسم الأَثَرَةُ بالتحريك، واسْتَأْثَرَ الله بفلان، إذا ماتَ ورُجيَ له الغفرانُ، وحكى ابن السكيت: رجل أثر على فعل بضم العين، إذا كان يستأثر على أصحابه، أي يختار لنفسه أفعالاً وأخلاقاً حسنةً، والمَأْثُرَة بفتح الثاء وضمها: المكرمة، لأنها تؤثر، أي تذكر ويأثرها قرن عن قرن يتحدثون بها، وآثرت فلانا على نفسي، من الإيثار، وقولهم: أَفعلُ هذا آثِراً مَّا، وآثِرَ ذي أَثيرٍ، أي أوَّلَ كلَّ شيء"(١).

ويتشكل وفقًا للدلالات الأصلية الحقل الدلالي الذي يمكن أن نشير له منطقيا بدلالتي التضمن والاستلزام.

الأصل الأول: "أَثْر".

الفرند ← الدلالة فرعية ← أثرت الحديث.

الأصل الثاني: "أثَر".

بقية رسم الشيء ← الدلالة فرعية ← ضربة السيف.

حقل دلالي.

الآثار ← المأْثَرَة ← الأَثَرَة ← الخ.

(١) المرجع السابق، ٢/٥٧٥.

والحقل الدلالي هنا مجموعة معاني تعتمد على الاشتقاق والتصرف من الأصل ولهذا فإنها ترتبط بخيط رفيع من المعاني المجازية وهو ما أدركه الزمخشري ونسج عليه في كتابه أساس البلاغة.

تعتمد معاجم المعاني العربية في جمع مادتها المعجمية في القرون الإسلامية الأولى على الآتي:

- حروف الهجاء مرتبة ترتيبا ألف بائيا.
- عرض دلالة أصل الكلمة وتفسيرها بكلمة واحدة.
- ذكر دلالة الكلمة في سياقات مختلفة.
- الاستدلال بكلام العرب والكتاب والسنة.

ومن هذه المعاجم التي نهجت هذه الطريق معجم أساس البلاغة، معجم تهذيب اللغة، المخصص، الجمهرة، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، والشوارد للصغاني في بعض أقسامه، معجم مقاييس اللغة لابن فارس، الزاهر في معاني الناس.

ثالثا: المعاجم بين المشافهة والرواية:

المشافهة، كما سلف من القول، أصول من أصول النقل لدى العرب وهي السماع كما أصلوا له والسماع هو:" ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى، وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم، وكلام العرب، قبل بعثته، وفي زمنه، وبعده، إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين، نظما ونثرا، عن مسلم أو كافر"(١)

أمّا الرواية في" أصلها اللغوي، الاستسقاء، ثم أطلقت الكلمة على حمل الشعر، والأنساب، والحديث، بل وأطلقت الكلمة، أيضا، على طرق نقل القراءات وفروع العلم المختلفة لعلاقة النقل في كل وسبيل ذلك فيما يبدو من كلام الجوهري، والاستظهار فأنت تقول: أنشد القصيدة ولا تقل اروها إلا أن تأمر بروايتها، أي: باستظهارها، وعلى هذا، فالحمل والاستظهار هما عنصرا الرواية "(٢)، ولا تختلف المعاجم عن هذا السياق المعرفي "ومن الشائع الكثير أن نجد القواميس العربية محشوة بالعديد من أسماء الرواة كأبي عبيدة، وأبي عمرو وغيرها، وليس معنى هذا أن صاحب التاج مثلًا حين يذكر لنا "قال أبو عمرو" أنه رأى كتاب أبي عمرو بل إنه نقل عن مصدر آخر كان قد انتفع بآراء أبي عمرو، ودون جزءًا منها في كتابه، وهذا من الأسباب التي بها تشابهت تعبيرات أصحاب المعاجم حين شرحهم للمفردات، ويمكن بالمقارنة إرجاع هذه التعبيرات إلى الأصل الأول، وهو كتاب العين للخليل مع فارق يسير"(٣).

---

(١) الاقتراح في أصول النحو وجدله: ٦٧.

(٢) الأعراب الرواة:١٧.

(٣) المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم "العين" للخليل بن أحمد:٥.

وما يشير إليه النص هو توقف النقل بالمشافهة واعتماد المعجميين على النقل بالرواية حتى أضحت أغلب النقولات متشابهة نصّا، وصار هذا النص متوراثا كما يبرز هذا الملمح في كتب التفسير والشروحات والحواشي؛ والمعاجم أفرزت مادة لغوية كبيرة في مختلف العلوم فبعد الغريب والمجاز نشأت معاجم مخصصة بالأصول اللغوية ومعانيها على اختلاف طرائق التناول ثم انصرف علماء اللغة للتبع بعض الظواهر اللغوية التي عبّرت عن حسن نظر وحس لغوي بالظاهرة اللغوية؛ وذلك تصنيفهم في الشوارد، وكتب الفروقات، وكتب اللحن كإصلاح المنطق، وتقويم اللسان، وكتب الأفعال.

وتعددت مظاهر المشافهة في المعاجم العربية بين استعمال لمصطلحاتها التي ثبتت لعلماء اللغة ومنها: سمعت، سمعنا، أو قال، أو التصريح بأنه كلام عربي، أو هو نقل عن بعض فصحاء العرب من الأعراب، أو أن تكون استدلالا بنص من الكتاب أو السنة أو كلام العرب؛ وكل ما سبق تأسيس لمظاهر المشافهة والسماع كما جاءت بها المصنفات اللغوية والدينية بل هي سير وراء منهج أتبعه مفسرو القرآن كما جاء به أيضا كتاب سيبويه.

ومن الغفلة ألّا يبتعد اللغويون عن رصد الاستعمال الحقيقي للغة فإن اللغة إذا قيدت بقيد اللغة المنتقاة أفضت إلى ركود في جانبها الاستعمالي؛ بل كان لابد للغويين من التحرر من ربقة هذا القيد بالبحث في استعمالها وقد أشاروا للاستعمال في وضع قواعد العربية؛ إلا أن الاستعمال قد يرفض ليحل محله القياس وهي مخالفة صريحة للأصول ابتدعها بعض اللغويين" (هَذَا بَاب مَا يحقر على مِثَال جمعه على الْقيَاس لَا على الْمُسْتَعْمل) وَذَلِكَ قَوْلك فِي

تحقير دانق دوينق وطابق طويبق وَخَاتم خويتم وَلَا تلْتَفت إِلَى قَوْلهم خَوَاتِيم ودوانيق وطوابيق لِأَن الْجمع على الْحَقِيقَة إِنَّمَا هُوَ دوانق وخواتم وطوابق كَمَا تَقول فِي تابل توابل وَفِي فَارس فوارس"(١)، فصار المعيار هو أساس اللغة وخرج اللغويون بذلك عن وصف الظاهرة اللغوية إلى ربطها بضوابط عامة أفضت، وبمرور الوقت إلى استيفاء الظاهرة اللسانية العربية لمقومات نمائها وتطورها.

أما في صناعة المعاجم فقد استدركت كثير من المعاجم بعد القرون الأولى النقص في المعاجم العربية فظهرت معاجم أكثر اختصاصا ويجب الإقرار أن المعجميين تفوقوا على اللغويين في فهم الظاهرة اللغوية والتأصيل لها؛ بينما توقف اللغويون الذين اهتموا برصد ضوابط وقواعد العربية عند حدود متبعة ومناهج صارمة، أدت تلك القواعد إلى إهمال كثير من اللهجات واللغات بحجة عدم سريانها على الحد المكاني والزماني للاحتجاج، فصار النحو قائما على الراوية وعلى أخذ العلماء من العلماء مما أدى إلى ظاهرة النص المتوارث "المكرر" وهو ما يبرز بجلاء في كتب الحواشي والشروح؟.

وقد أبانت كتب مثل الخصائص والمحتسب وسر صناعة الإعراب لابن جني عن لغات استعملها العرب لكن رصدها العلماء على استحياء؛ وهنا يمكن تقدير سطوة هذا الحدّ بأن كثيرًا من كلام العرب قد رصد في زمان محدد ومكان محدد حتى صار النقل من البيئات العربية الأخرى محدودا في بعض المصنفات ومن ذلك كتب المعاجم.

---

(١) المقتضب: ٢/٢٥٧.

وتبرز المشافهة في المعاجم العربية في ملامح عامة نبينها في الآتي:

أولا: **النقل المباشر**:

ونعني به السماع المباشر من الأعراب أو الشعراء أو فصحاء العرب ومنه ما ذكره ابن منظور بقوله:" أَبَأَ: قَالَ الشَّيْخُ أَبو مُحَمَّدِ بْنُ بَرِّي رحِمه اللَّهُ: الأَبَاءَةُ لأَجَمَةِ القَصَبِ، والجمعُ أَباءٌ. قَالَ وَرُبَّمَا ذُكر هَذَا الْحَرْفُ فِي المعتلِّ مِنَ الصِّحاح وإِن الهمزةَ أَصلها ياءٌ. قَالَ: ولَيْسَ ذَلِكَ بِمَذْهَبِ سِيبَوَيهِ بَلْ يحمِلها عَلَى ظَاهِرِهَا حَتَّى يقومَ دليلٌ أَنها مِنَ الْوَاوِ أَو مِنَ اليَاءِ نَحْوَ: الرِّداء ؛ لأَنه مِنَ الرَّدْية، والكِساء ؛ لأَنه مِنَ الكُسْوة، وَاللَّهُ أَعلم"(١).

ثانيا: **الرواية**:

وهي النقل عن الرواة من اللغويين والشعراء، النقل من معجميين سبقوا كنقل ابن منظور عن غيره من المعجميين، ونقل ابن فارس عن تهذيب اللغة وغيرها وهي كثيرة في المعاجم بل إن أغلب المعاجم قائمة عليها لابتعاد زمن صناعة المعاجم عن زمن جمع اللغة فأخذت مادتها رواية عن علماء اللغة والأدب أو مما حوته متون اللغة وآدابها وعلومها؛ ومنه قول ابن منظور:" وَرَوَى أَبو عُبَيْدٍ عَنِ الأَصمعي وأَبي عُبَيْدَةَ أَنهما قَالَا: يُقَالُ لَهَا الحِدَأَةُ بِكَسْرِ الْحَاءِ عَلَى مِثَالِ عِنَبَة، وَجَمْعُهَا حِدَأ، وأَنشد بَيْتَ الشَّمَّاخِ بِكَسْرِ الْحَاءِ؛ وَرَوَى ابْنُ السِّكِّيتِ عَنِ الْفَرَّاءِ وَابْنِ الأَعرابي أَنهما قَالَا: الحَدَأَةُ بِفَتْحِ الْحَاءِ، وَالْجَمْعُ الحَدَأُ، وأَنشد بَيْتَ الشَّمَّاخِ بِفَتْحِ الْحَاءِ؛ قَالَ: وَالْبَصْرِيُّونَ عَلَى حِدَأَة بِالْكَسْرِ فِي الفأْس، وَالْكُوفِيُّونَ: عَلَى حَدَأَةٍ؛ وَقِيلَ: الحِدَأَةُ: الفأْسُ العَظيمة؛ وَقِيلَ: الحِدَأُ: رُءُوسُ الفُئُوسِ، والحَدَأَةُ: نَصْلُ السَّهْمِ"(٢).

---

(١) لسان العرب: ٢٣/١.

(٢) المرجع السابق، ٥٥/١.

ويختلف معيار المشافهة فالمعاجم المتقدمة يبدو النقل المباشر فيها بارزا عن المعاجم المتأخرة التي اعتمدت على الرواية؛ فمعجم مثل معجم العين للخليل لا يبتدئ ببيان حرف فيه حتى يقول: العرب تقول [١]، فالمشافهة فيه واضحة جلية بينما تبدو الرواية أقل مأخذا، أما في المعاجم المتأخرة كالصحاح واللسان وتاج العروس فتبدو سطوة الرواية مما أدى إلى تراكم في الاستدلال بأقوال الرواة إضافة لاعتمادهم على الكتاب والسنة في توضيح معاني الكلمات؛ كما تظهر مثل هذه المعاجم عدم عناية واضحة بالأصول (الجذور) كما في كتاب العين فـ"لقد كان الخليل مشغوفا بالعربية متتبعا لعلومها آخذا إيّاها عن طريق الاختلاط بالأعراب في بواديهم، وبالمتحضرين في مدنهم وأسواقهم ومنتدياتهم"[٢] مما يذهب إلى القول إنه مع محاولة المعجميين محاكاة المنهج الخليلي في المعجم إلا أنهم أخفقوا في ذلك فصارت المعاجم تعاني تخمة لغوية مؤداها كثرة النقول.

ظلت معاجم المعاني مختلفة عن غيرها من معاجم الألفاظ (الجذور)، التي تعتمد في بنائها على الاشتقاق والموازين وهو ما يظهر في معجم العين، بينما تحتوي معاجم المعاني على مادة فكرية؛ وتؤطر للتطور التاريخي من خلال كلمات ومعاني استعملتها العرب ولم ترصد إلا من خلال معاني جامعة خاصة بما تكلم به العرب مفصلا كما في أساس البلاغة ومقاييس اللغة والزاهر وغيرها، أما ما جاء من موسوعات في العلوم تتبعت الترتيب الأبجدي فلا يمكن أن نطلق عليها اسم معجم لغوي وإنما موسوعات علمية تتبع النسق الأبجدي.

---

(١) ينظر: كتاب العين: ٦٢/١.

(٢) نحو الخليل من خلال معجمه: ٨.

المعجم والملفوظية:

الملفوظية مصطلح حداثي يرادف المنطوق أيضا، وهذا المصطلح يلتقي مع المشافهة في فكرنا الإسلامي كونه يبرز الأصل الأول المعلوم بالوضع ويؤكد أيضا على دلالته الوضعية لا التصورية الذهنية كما أوردها كاتز وفودور في مقالهما المنشور لأول مرة عام ١٩٦٣م[١]، وقد اعتمد كاتز وفودور على تصور الدلالة السميائية للألفاظ، التي أفضت فيما بعد إلى نظرية الحقول الدلالية.

وحقيقة فإن ما جاء به الباحثان بطرح الدلالة اللفظية وفق نظام سيميائي مسبوق عند المعجميين العرب فإن المعجمي يقترح أصلا أو مدخلا كما يصطلح عليه اللسانيون ثم يطرح عدة دلالات منبثقة عن ذلك الأصل الوضعي ويجعل مقابل كلّ ملفوظ دلالته الخاصة به، لكن تصنيف الدلالة بين الوضعي والمستعمل يؤكد أن المعجم العربي لم يتوقف أمام الدلالة الأصل بل أتبعها بدلالة ذهنية متصورة متطورة عن المفهوم الأول للمنطوق.

---

١) ينظر: علم الدلالة:٦٢.

ومثال ذلك:

الجذر (ثوب) الأصل في دلالته الرجوع.

وتتطور معاني الجذر وفق الأصل بالشكل الآتي:

ثـــــــوب

رجع بعد ذهاب

تاب الرجل إذا عاد ورجع

ومنها تواب أواب

ولها مجازات كثيرة وتظهر المجازات اتساع دلالة الملفوظ الأصل[١] منها:

- ثاب جسمه ثوبانا أي: أقبل.
- ثاب الرجل ثاب إليه جسمه وصلح بدنه.
- ثاب الحوض امتلأ.
- الثّوّاب النحل ومنه العسل.

١) ينظر:تاج العروس من جواهر القاموس: ٢/١٠٩.

- الثواب الجزاء.
- والثوب اللباس وماستر ووقى، وفيها نلاحظ أن هذه دلالة أخرى لاترجع للأصل الأول وغيرها كثير.

وتوضح الدلالات السابقة أن المعجم العربي يستعمل غالبا دلالة الأصل أو ينظر في المستعمل من كلام العرب وليست هناك دلالات اعتباطية أو كما هي في السيميائيات الحديثة.

خاتمة وتوصيات:

تعدّ المشافهة من أهم معالم الفكر اللغوي العربي وأصوله وقد استمدت المشافهة هذا البعد التأثيري في علوم العربية لانطلاقها من فكرة الوحي ونقل القراءات القرآنية والحديث، وظل العرب أمة محدثة اعتمدت في أيامها وأخبارها على الرواية والحديث؛ كما كانت الملكات صانعة الإعراب لديهم، فقد أدّت المشافهة إلى:

١. نشأة المعاجم العربية بشقيها معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني.
٢. قامت المعاجم العربية على الأصول التي قامت عليها علوم العربيّة الأخرى، وتتبعت مناهجها من السماع والقياس والاستدلال والحجاج.
٣. اختلفت معاجم الألفاظ عن معاجم المعاني في كمّ المشافهة المباشرة" السماع" حيث ظهر السماع " النقل المباشر" في معاجم مثل العين والتهذيب.
٤. اعتمدت المعاجم المتأخرة على الرواية والاستدلال أكثر من السماع المباشر الذي كان في ظاهرا في المؤلفات الأولى لعلوم العربية كالكتاب ومعجم العين.

توصي الورقة:

- باستقراء كلّي لمعاجم المعاني وبيان ما بها من تطور تاريخي.
- دراسة المعاجم دراسة أصولية.

المصادر والمراجع:

١. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.
٢. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م.
٣. الأعراب الرواة، د. عبد الحميد الشلقاني، الشركة العامة للتوزيع والنشر والإعلان، طرابلس، ط/١، ١٩٧٠م.
٤. الاقتراح في أصول النحو وجدله، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، حققه وشرحه: د. محمود فجال، وسمى شرحه (الإصباح في شرح الاقتراح)، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ -١٩٨٩ م.
٥. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية.
٦. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين -بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
٧. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي سنة الولادة ١٠٣٠/ سنة الوفاة ١٠٩٣هـ، تحقيق: محمد نبيل طريفي/اميل بديع اليعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م، د/ط.
٨. الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م.

٩. سر صناعة الإعراب –ابن جني، سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، الناشر: دار القلم – دمشق، تحقيق: د. حسن هنداوي، الطبعة الأولى ،١٩٨٥ م.
١٠. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ –١٩٨٧ م.
١١. علم الدلالة، جون ليونز، ترجمة: عبد المجيد الماشطة وآخرون، كلية الآداب جامعة البصرة،١٩٨٠م
١٢. غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، محمد بن عُزير السجستاني، أبو بكر العُزيري (المتوفى: ٣٣٠هـ)، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، الناشر: دار قتيبة – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ –١٩٩٥.
١٣. كتاب الحروف، أبو نصر الفارابي، تحقيق: محسن مهدي، الناشر: دار المشرق، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م، ص ١٤٧، والاقتراح في أصول النحو وجدله، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ).
١٤. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
١٥. الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ –١٩٨٨ م.
١٦. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة –١٤١٤ هـ.
١٧. مجاز القرآن أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة، الطبعة: ١٣٨١ هـ.

١٨. مجالس العلماء، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٣٧هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي -القاهرة، دار الرفاعي بالرياض، الطبعة: الثانية ١٤٠٣ هـ -١٩٨٣ م.
١٩. المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم "العين" للخليل بن أحمد، عبد الله درويش، الناشر: مكتبة الشباب، د/ط، د/ت.
٢٠. معاني القرآن للفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى.
٢١. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.
٢٢. المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ) ، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، الناشر: عالم الكتب. – بيروت.
٢٣. نحو الخليل من خلال معجمه، د. هادي نهر، الناشر: دار اليازوري، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م.
٢٤. النظرية اللغوية في التراث العربي، د. أحمد عبد الدايم، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط/٢، ٢٠١٥م.

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	ملخص	٨٩٧
٢-	Abstract	٨٩٩
٣-	توطئة:	٩٠١
٤-	أولا: المشافهة في اللسان العربي نظرة في الزمان والمكان:	٩٠١
٥-	ثانيا: المعاجم أدوات صناعتها وتطورها:	٩٠٧
٦-	النمط الأول: توضيح الأصل اللغوي للكلمة.	٩٠٧
٧-	الدلالة المعجمية بين الوضع والمجاز:	٩١١
٨-	النمط الثاني: توضيح دلالة الكلمة:	٩١٢
٩-	ثالثا: المعاجم بين المشافهة والرواية:	٩١٧
١٠-	المعجم والملفوظية:	٩٢٢
١١-	خاتمة وتوصيات:	٩٢٥
١٢-	المصادر والمراجع:	٩٢٦
١٣-	فهرس الموضوعات	٩٢٩